خطبة صلاة الجمعة 31/ 5/ 2019 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(ثمرات الخشوع)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: 16]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربعُ سنين"، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن"، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا تلا الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: 16] قال: «بلى يا ربّ، بلى يا ربّ».

مرت خطب رمضان بتعريف الخشوع ومحله والأمور الأربعة التي تورث الخشوع وفضل خشوع الصلاة وحكمه، كيف أخشع في صلاتي؟ وعنوان خطبة اليوم: **ثمرات الخشوع**.

أيها الإخوة:

أجمع العارفون على أن الخشوع محلَه القلب ولكن تظهر ثمرته على الجوارح، تركاً للحرام وإتقاناً للفرائض والتزاماً بالنوافل.

تظهر ثمرته حسن صلة بالله وحسن صلة بالناس، فترى الخاشع يستجيب للحق في الخصومات بينما يأبى فاقد الخشوع الاستجابة، وترى الخاشع راضياً بقضاء الله وقدره بينما يضجر ويتسخط فاقد

الخشوع، وترى الخاشع متواضعاً، بينما يتكبر ويتجبر فاقدو الخشوع يتكبرون، ويراعي الخاشع الحلال والحرام في اقواله وأعماله بينما لا يلتفت لذلك فاقدو الخشوع.

وها أنا في خطبة اليوم أضع بين أيديكم قصصاً واقعية من الماضي والحاضر تحكي لنا ثمرات الخشوع وآثارَه، ليهون علينا ما نبذله من جهد ووقت في تحصيل الخشوع إذ من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.

1- سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يرد لقمة حرام:

عن زيد بن أرقم قال: كان غلام لأبي بكر يأتيه كل يوم بمال فيسأله: من أين أتيت بها؟ قال: فجاءه ذات ليلة بطعام، فأكل منه لقمة ونسي أن يسأله ثم قال له: من أين جئت بهذا؟ فقال: كنت تكهنت لأناس بالجاهلية فوعدوني فأعطوني اليوم طعاماً، فقال أبو بكر: أفٍّ لك كدتَ تُهلكني! ثم أدخل يده في فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج، فقيل له: إنها لا تخرج إلا بالماء فدعا بماء فجعل يشرب ويخرج ما في بطنه، فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ فقال رضي الله عنه: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به "، فخشيت أن ينبت بذلك في جسدي من هذه اللقمة»**.

فخشوع القلب ينعكس تركاً للحرام وأكلاً للحلال الطيب.

ومثل ذلك ما ذكروا عن أُخْتُ بِشْرِ الْحَافِي؛ جاءت أخت بشر الحافي إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَد،، وَأَشَارَتْ إِلَيْهِ أَنَّ لَهَا مَسْأَلَةً، تقُولُ: إِنَّهَا تتَكَسَّبُ عَيْشَهَا مِنْ طَاقَاتِ غَزْلٍ تَأْتِي بِهَا مِنَ السُّوقِ، ثُمَّ تقُومُ عَلَيْهَا غَزْلًا، ثُمَّ تَبِيعُهَا فِي الْأُسْبُوعِ بَعْدَهُ، تقُولُ: وَإِنِّي إِنَّمَا أَقُومُ بِذَلِكَ فِي أَجْوَافِ اللَّيَالِي المقمرة؛ لِأَنَّنِي لَا أَمْلِكُ سِرَاجًا يُضِيءُ بِاللَّيْلِ، فَأَكُونُ عَلَى سَطْحِ الْبَيْتِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ أَغْزِلَ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ، قَالَتْ: فَمَرَّتْ لَيْلَةً جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَسَسِ بِاللَّيْلِ، فَوَقَفُوا وَمَعَهُم السُّرُجُ بِإِزَاءِ بَيْتِنَا يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرٍ أَوْ يَصْنَعُونَ شَيْئاً، قَالَتْ: فَغَزَلْتُ طَاقَةً أَوْ طَاقَتَيْنِ فِي ضَوْءِ تِلْكَ السُّرُجِ وَتِلْكَ الْمَصَابِيحِ، فَهَلْ يَلْحَقُنِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ؟! قال أحمد: إن هذا لا يخرج إلا من بيت بشر الحافي، فقيل له إنه أخته.

فخشوع القلب ينعكس تركاً للحرام وأكلاً للحلال الطيب.

2- المحامي يرفض خيانة الأمانة:

وكلت امرأة محامياً معروفاً بصلاحه بدعوى تفريق، تشكو بذلك ظلم زوجهاً، جاءه الزوج ووالده بعد أيام وطلباً إليه أن يتخلَّى عن الدعوى تنكيلاً بالمرأة، فرفض المحامي، فقام والد الزوج ووضع في يد

المحامي خمسمائة ألف ليرة سورية ليتخلَّى عن الدعوى –حتى يترك زوجة ولده معلقة حسب قوله– فأبى المحامي، فما كان من الزَّوج إلا أنْ قدَّم له شِكَّاً مفتوحاً ليترك الدعوى إضراراً بالزَّوجة فأبى أيضاً.

ومثل ذلك جاء في القصة الشهيرة لابن عمر مع الراعي: قال نافع: خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا سفرة فمر بهم راع، فقال له عبد الله: هلم يا راعي فأصب من هذه السفرة، فقال: إني صائم، فقال له عبد الله: في مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت في هذه الشعاب في آثار هذه الغنم، فقال الراعي: أبادر أيامي الخالية، فعجب ابن عمر، فقال ابن عمر: هل لك أن تبيعنا شاةً من غنمك نجتزرها ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها، قال: إنها ليست لي إنها لمولاي، قال ابن عمر مختبراً له: فما عسيت أن يقول لك مولاك إن قلت أكلها الذئب؟! فمضى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول: فأين الله؟ قال: فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعي: فأين الله فأين الله فأين الله.

فخشوع القلب ينعكس أداء للأمانة وحفظاً للعهد ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34]

3– الإمام أبو حنيفة ينصح للزبونة:

كان الإمام أبو حنيفة صاحب المذهب تاجر قماش معروفاً بالعلم والخشوع، جاءته امرأة يوماً تبيعه ثوب حرير، فسألها: كم تطلبين ثمنه؟ فقالت: مائة، فقال: هو خير من مائة، بكم تقولين؟ فزادت مائة مائة حتى بلغت أربعمائة درهم، فقال: هو خير من ذلك، فقالت أتهزأ بي؟ فقال: هاتي رجلاً يقوِّمه، فجاءت برجل فاشتراه بخمسمائة درهم.

إن خشوع القلب ينعكس أمانة في التعامل ونصحاً في البيع والشراء.

4– واقف المدرسة العمرية يقضي حوائج الناس:

في منطقة الصالحية شمالي جامع الحاجبية مدرسة أثرية تحتاج ترميماً اليوم، تسمى المدرسة العمرية، واقفها الإمَامُ العَالِمُ أبو عُمَرَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ المَقْدِسِيُّ من وفيات 607 للهجرة، قال عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء كَانَ قُدْوَةً، صَالِحاً، عَابِداً، قَانِتاً للهِ، ربانيًا، خاشعًا، كَانَ إِذَا سَمِعَ بِمُنكَرٍ اجْتهدَ فِي إِزَالَتِه، ويكتُب فيه إِلَى المَلِكِ، حَتَّى سَمِعنَا عَنْ بَعْضِ المَلُوْكِ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا الشَّيْخُ شَرِيكِي فِي مُلكِي، وكَانَ قَاضِياً لِحَوَائِجِ النَّاسِ، وَمَنْ سَافَرَ مِنَ الجَمَاعَةِ يَتَفَقَّدُ أَهَالِيْهِم، وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُوْنَهُ فِي القَضَايَا، فَيُصْلِحُ بَيْنَهُم، وَكَانَ ذَا هَيْبَةٍ وَوَقْعٍ فِي النُّفُوْسِ.

فخشوع القلب ينعكس إصلاحاً بين الناس وإزالة للمنكر وقضاء لحاجات الخلق.

5- التابعي صفوان بن سليم المدني يخدم أصحابه وينفق عليهم:

جاء في كتاب تهذيب الكمال: صفوان بن سليم المدني أبو عبد الله، كان ثقة عابداً خاشعاً. قال الإمام أحمد بن حنبل عنه: هذا رجل يستسقى بحديثه، وينزل القطر من السماء بذكره.

وكان صفوان إذا سافر وأراد أن يرافق أحداً شرط عليه أو عليهم أن ينفق عليهم من ماله وأن يلي خدمتهم بنفسه وأن يلي الأذان.

فانعكس خشوع القلب خدمة للأصحاب ونفقة عليهم.

ومثل هذا قيل في عالم اسمه أحمد بن محمد ركن الدين السمناني، قالوا: كان مليح الشكل خاشعاً، ساكن الشر وادعاً، كثير التلاوة، ظاهر الطلاوة، وكان كثير البر والإيثار، هامي الجود على ذوي الإعسار، يدخله من أملاكه نحو تسعين ألف درهم ينفقها في وجوه البر ويتصدق بها إما في الجهر وإما في السر.

وهكذا -أيها الإخوة- تكثر ثمرات الخشوع وقصص أهله في الماضي والحاضر، ينعكس من القلب على الجوارح أمانة وأدباً وبراً وخدمة وصلاحاً وإصلاحاً.

فحري بنا أن نشد الهمم ونبذل الوسع ونعيد المحاولة مرة بعد مرة لتحصيل الخشوع، ولنذكر أن أربعة تورث الخشوع:

-**أولها**: الإكثار من ذكر الله مع استحضار جلاله وعظمته.

-**ثانيها**: تذكر آفات النفس والعمل.

-**ثالثها**: ورؤية فضل كلّ ذي فضل عليك.

-**رابعها**: اللحاق بمجالس العلم.

أخرج الأمام مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«اللَّهمَّ آتِ نَفسي تقْوَاها، وزَكِّها أَنت خَيرُ مَنْ زكَّاهَا، أَنتَ وَلِيُّها ومولاها، اللَّهمَّ إِني أَعوذ بك من علم لا ينفعُ، ومن قَلبٍ لا يَخشَع، ومن نَفسٍ لا تشبع، ومن دعوة لا تُستَجَاب».

والحمد لله رب العالمين